مؤتمر آثار الشرق

للدكتور جواد علي

قررت اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية عقد مؤتمر في مدينة دمشق في شهر أغسطس أو أوائل شهر سبتمبر من سنة ١٩٤٧ لدراسة آثار الشرق الأدنى يُدعى « مؤتمر آثار الشرق » وقد عينت اللجنة التحضيرية التي وضعت منهج المؤتمر أغراضه بما يأتي :

١ — الاهتمام بالثقافة الأثرية وتبادل الآراء العلمية والفنية .

٢ — المحافظة على تراث الشرق العربي ووضعه في الإطار اللائق به .

٣ — تقوية الصلات بين أمم الشرق ، وتذليل العقبات في سبيل تحقيق التعاون فيما بينها من الناحية الأثرية .

وقد تصفحت التقرير الذي وضعته اللجنة التحضيرية ليكون جدولاً لأعمال المؤتمر فلم أجد فيه — وآسف لذلك — أية إشارة إلى عرب ما قبل الإسلام . كما أنني لم أجد في قائمة الموضوعات العامة التي ستبحث فيها المحاضرات التي تلقى في المؤتمر أية محاضرة قد تناولت تاريخ ما يسمى « بالجاهلية » أو « العصر الجاهلي » وكل ما وجدت هو أن سلسلة المحاضرات بدأت بالعلاقات بين مصر والشرق الأدنى ، ثم تطرقت إلى العلاقات بين بابل وآشور والشرق الأدنى ، فأثر الفنيقيين في حضارة الشرق الأدنى ، فالعلاقات بين الشرق الأدنى والإغريق . ثم انتقلت رأساً إلى موضوع أثر العقائد الدينية في حضارة الشرق القديم ، ثم إلى حظ الشرق من الحضارة الإغريقية في العصور الهلينية فيدخل في ذلك حظ مصر من تلك الحضارة ثم حظ سوريا فبابل ، ثم تنتقل السلسلة إلى مظاهر الحضارة الإسلامية في دول الشرق العربي وتلك طفرة عجيبة بالطبع ، وتنتهي بموضوع الحفائر الأثرية في ممالك الشرق العربي فموضوع ترميم الآثار .

وكنت أطمع في أن أرى للتاريخ العربي القديم المحل الأول في قائمة الموضوعات التي ستدرس في هذا المؤتمر ، إذ أن اللجنة الثقافية التي وكلت إلى اللجنة التحضيرية أمر تهيئة خطط المؤتمر هي مؤسسة من مؤسسات الجامعة العربية ، وأنها وضعت نصب عينها إحياء التراث العربي القديم وحرصت على ذلك في كل مناسبة . فالأولى بها أن تعنى بتاريخ عرب ما قبل الإسلام فتجعله الهدف الثقافي الأول نظراً إلى أن التاريخ العربي القديم يكاد يكون حتى اليوم في حكم المجهول ، ولأن الآثاريين الغربيين لم يتمكنوا من التنقيب فيه لأسباب كثيرة ، منها أن الدول العربية التي تشتمل على المناطق الآثارية ، لم تسمح لهم بالعمل ، خوفاً من النفوذ الأجنبي ومن تسرب تلك الآثار إلى الخارج ، وإن اللجنة الثقافية ستنتهز هذه الفرصة فتثير لذلك هذا الموضوع في مؤتمر الآثار لتحث الدول العربية على العناية بآثار العرب وبتاريخ العرب القديم ، ولتطلب إلى حكومات الجامعة القيام بحفريات علمية بنفقتها أو بنفقة الجمعيات العلمية الأوربية التي توافق على التنقيب بإشراف الجامعة . أو أنها ستسعى لأن تسهل لمن تخصص من أبناء دول الجامعة العربية بتاريخ العرب القديم الدخول في مناطق الآثار لدراستها والكتابة عنها والقيام بحفريات علمية فيها إن أمكن ذلك من الوجهة العلمية والمادية .

وقد قام نفر من العلماء المستشرقين في القرن التاسع عشر والقرن العشرين أمثال « هاليفي » و « أرنو » و « كلامر » وغيرهم بزيارة مختلف أنحاء بلاد العرب المجهولة وفي ظروف حرجة فتعرضوا إلى مختلف الأخطار والمهالك فعادوا بأنباء مهمة تشير إلى وجود أماكن آثارية على جانب كبير من الأهمية . وقد نقلوا معهم بعض الألواح والأحجار المكتوبة التي عثروا عليها على سطح الأرض وهي توجد اليوم في المتاحف الآثارية الكبرى وهي تؤيد هذه النظرية وتتحدث عن حضارة عربية قديمة أصيلة .

وقد بذل هؤلاء العلماء جهوداً كبيرة حتى تمكنوا من حل رموز الحروف اليمانية القديمة المسماة بالحروف الحميرية . واستطاعوا بعد معرفتها أن يقرأوا ما هو مكتوب فنشروه ، وقد دل ما نشر حتى الآن وهو قليل بالطبع على أن الحضارة اليمانية قديمة قدر عمرها بعض العلماء بما يزيد على ألف وثلاثمائة عام قبل المسيح .

كما أنهم بحثوا في النصوص الآشورية والبابلية والمصرية وفي التوراة ، وفي النصوص السريانية واليونانية واللاتينية فكونوا من هذا البحث مقدمات لمن يريد في المستقبل الكتابة عن تاريخ عرب ما قبل الإسلام .

ولا يمكن أن يكتب للأمة العربية تاريخ قديم إلا إذا سهلت الدولة العربية للمستشرقين وللشبان العرب الذين تخصصوا بتاريخ ما قبل الإسلام الدخول في المناطق الآثارية وقاموا